مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الاهـــــرام
التاريخ : ١٩٧٧/٥/١٠

المســـــجد
فى ثـــــورة التصـــــحيح

ليس بعجيب أن يكون للمسجد دوره الايجـابى فى تاريخ الثـورات ، ففى رحابه يربى الرجال ، ويتخرج الابطال ، وبين جنبانه تلقى التوجيهات التى تذكر الانسان بحقه فى الحياة الحرة الكريمة وبرفضه للظلم والطغيان ، لانه يسمع فيه دائما نشيد الاسلام : الله اكبر الله أكبر .. اشهد أن لا اله الا الله واشهد أن محمدا رسول الله ..

وما ثورة ١٩١٩ ببعيدة عنا حيث كان لمنبر الازهـر اثره القـوى فى التعبئة العامة للجهاد ، وفى الدعوة الى توحيد طوائف الامة .

ويمضى التاريخ ، وتمر ببلدنا فترات عنيفة ، لاقى فيها شعبنا الصابر الصامد اقسى أنواع الظلم الاجتماعى نتيجـة بطش الاسـتعمار واعوانه من القصر والاحزاب السياسية ، وسيطرة رأس المـال على الحكم .. واندلعت ثورة الثالث والعشرين من يوليو ١٩٥٢ نارا ونورا ، وقامت على مبادىء محددة .. وكنا نحن الشباب — آنئذ ندرك ابعاد المعـاناة التى تئن منها امتنا — وكنا نفتش عن الخلاص ونبحث عن الامان ، ونرقب معجزة تتصـدى لنظام الحكم الطاغى المستبد ، ونقف فى صف هؤلاء الحيارى التائهين الباحثين عن ملاذ ، وهؤلاء البسطاء الكادحين المالئين حياتهم بالعمل والعناء ..

قامت الثورة ، ووقف الشعب المطحون بجانبها ، وقامت الجماهير تردد شعاراتها وتؤكد العزم على النضال من اجل تثبيت دعائمها .. وحققت انجازات كانت تمر بخواطرنا قبل الثورة ، وكأنها هدهدة احلام .. أو سانحات آمال ..

واذكر — للتاريخ أن أول بيان صدر من علماء الازهر تاييدا للثورة كان فى اليوم الثالث لها ، ونشر بالصحف تحت عنوان « علماء الازهر يؤيدون الثورة » ووقـع عليه فضيلة الشـيخ ابراهيم المحيصى رحمه الله ، والشيخ عبد الرحمن الصوالحى رحمه الله ، والشيخ عبد المنعم النمر أمد الله فى عمره ، وعبد الرحمن النجار .

وتولى قيادة سـفينة الثورة بعـد رئيسها الاول المرحوم جمال عبد الناصر رفيقه فى الكفاح ، الرجل الثائر قبل الثورة محمد أنور السادات .

والرئيس السادات يعرفه جيلنا فى الاربعينات مناضلا عنيدا وثائرا اصيلا وكنا مبهورين بمواقفه البطولية فى زمن عز فيه الابطال . تولى القيادة وقلوب الامة متعلقة به ، وآمالها معقودة عليه لكن كنا نحس — أو اننى كنت شخصيا احس — بتصرفات غريبة تدور من حوله ففى احدى صلوات الجمعة فى الازهر وكانت صـلاة رسـمية يحضرها رئيس الدولة وكبار المسـئولين مع جماهير الشعب . لاحظت بحكم عملى — كمدير للمساجد — أن المسئولين الذين يكونون

في استقبال الرئيس قدموا الى المسجد بعد وصول سيادته وقد تعجبت لذلك أشد العجب ، ولم ابد تعجبي هذا لاحد حتى الان .

وجاءت بعد ذلك مناسبة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف في مسجد مولانا الامام الحسين ، وكان من المقرر أن يوجه الرئيس السادات خطابا الى الامة في هذه المناسبة الكريمة ، ووقف سيادته يتحدث أمام محراب مسجد الحسين وقلوبنا مشدودة اليه ، ولكنني كنت أرى بعض المسئولين ، ينظر كل منهم الى صاحبه نظرات ذات مغزى ، تتبعها ابتسامات باهتة ، ويتلفتون في كل اتجاه ، وعيونهم تتعامز ، وكأنها تتحدث بلغة لا نعرفها ، واستمرت هذه الظاهرة طوال خطبة الرئيس وأنا أسأل نفسي يا ترى ما الذي يخبئه القدر لهذا الرجل ، الذي ادخرته العناية الالهية لتخليص الشعب من المعاناة ، ولاعادة كرامة الانسان ؟ يا ترى ما الذي تدبره هذه الشلة الحاقدة من كبار المسئولين وكنت ادعو الله بالسلامة ومرت الليلة بسلام .

واقبل يوم الجمعة ١٤ مايو ١٩٧١ ، وكان من المقرر أن تذاع شعائر الجمعة من مركز سيدي سالم محافظة كفر الشيخ بمناسبة افتتاح مسجد جديد بهذه المدينة وقد كان مقررا أن اسافر لاداء هذه الشعائر هناك ، وقد سافر قارىء السورة فعلا يوم الخميس ١٣ مايو وكان هو فضيلة الشيخ الصديق ابو العينين شعيشع وانتقلت اجهزة الاذاعة فعلا الى كفر الشيخ وبقي أن اسافر صباح الجمعة وفي منتصف الليل دق في منزلي جرس التليفون ، وسمعت احد المسئولين يطلب مني اليقظة الكاملة في جمعة الغد ١٤ مايو ، وخصوصا في بعض المساجد وقد حددها المتحدث معي ، لان هناك بعض العناصر تحاول ان تستغل تجمعات المصلين في صلاة الجمعة وتثير الفوضى وتقود المظاهرات .. فقلت : لصالح من هذا التخريب ؟

فقال : لصالح مراكز القوى .. واضاف الى قوله طالبا ان اعد نفسي لاذاعة خطبة وشعائر الصلاة من مسجد المرحوم جمال عبد الناصر ، وستنقلها الاذاعة على الهواء مباشرة ، فقلت له لكن الاذاعة قد انتقلت فعلا وسافر المذيع والمهندسون لكفر الشيخ ، فاجاب كل شيء سيعدل ولكن عليك مهمتان : اولا : التنبيه بحكم منصبك كمدير للمساجد على الا تستخدم بيوت الله في اغراض شخصية ، ولا يغرر برواد المساجد ، في يوم الجمعة لاحداث قلاقل تضر بامن الوطن .

ثانيا : على اداء خطبة الجمعة المذاعة من مسجد عبد الناصر .

وتمت هذه المشاهدات مع اشراقة فجر الجمعة .. وجلست افكر . واربط بين مشاهداتي في صلاة الجمعة بالازهر وحفل المولد بالحسين ، وما وضح من

خطاب الرئيس فى عيد العمال بحلوان ثم مايدبر فى الظلام لتفجير القلائل فى يوم الجمعة ١٤ مايو ، وكل هذا تحركه اصابع مراكز القوى .

واعددت خطبة الجمعة وأذكر أن موضوعها كان « **امتنا اسرة كبيرة تلتف حول راعيها وقائدها** » وقد قلت فيها : « **والان ماذا نريد ؟ اننا نريد فى المجتمع السلام ، وفى الاسرة الوئام ، وفى النفس السكينة ، وفى العيش الرضا ، وفى الحاكم الثقة ، وفى الله الامل .. نريد أن يتحقق لجماهير شعبنا الشريفة الكادحة أمن بعد قلق ، وراحة بعد عناء ووفرة بعد حرمان ، وحرية بعد كبت ، وانطلاق بعد قيد ، نريد مواصلة الالتفاف حول اهدافنا القومية فى اطار الوحدة الوطنية حيث لا تمايز لطبقة على طبقة ولا استعلاء لفرد على آخر ، بل أن الجميع ابناء مصر الطيبة لا يتميزون الا بما يقدمون لامتهم من عمل وتضحية وجهد وابداع** .. ومضيت الخطبة ، وهى مذاعة على الهواء ولعلها لاتزال محفوظة فى دار الاذاعه حتى الان — مضيت على هذا النحو .. تهاهد الرئيس محمد انور السادات بأسم الملايين من جماهير امتنا تعاهده عهد الشرفاء بان تكون من ورائه **وقلت له نبايعك من فوق هذا المنبر بيعة الشرفاء والله لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد .**

وانتهت شعائر صلاة الجمعة ، واقبل على بعض زملائى الشيوخ ، مظهرين اشفاقهم على ، فقد تعجلت وبايعت الرئيس ، مع أن المظاهرات المعادية من مراكز القوى تسير امام هذا المسجد الان ، فقلت لهم ان عجلة التطور تسير فى اتجاه الحرية وتحقيق كرامة الانسان ، ولن تدور العجلة الى الوراء ابدا . ان من ذاق طعم الحرية يستعذب الموت فى سبيل الحفاظ عليها . وقد فتح السادات باب الحرية ، ومارسناها فعلا ، وانتهى زائر الفجر الى غير رجعة ، فلن نستسلم ولن نستعبد بعد اليوم ، وان دماءنا لنبذلها حفاظا على كرامتنا وحريتنا وامتنا .. وتحققت ارادة الله .. ومضى يوم الجمعة بسلام واقبل يوم السبت ١٥ مايو ١٩٧١ فأعلن القائد نجاح ثورة التصحيح وقلم أظافر الغيلان التى كانت تريد أن تتهشنا ومكن للعدل والحرية والمحبة وصحح مسار ثورة ٢٣ يوليو لتنطلق نحو مزيد من التحرير والتطهير .

ولعلك تتساءل أيها القارىء العزيز وما حصاد ثورة ١٥ مايو ؟ فاقول لك : اجمل حصاد لها انك تتنفس جو الحرية النقى تقول مانعتقد وانت آمن ، لا تخشى الا الله وضميرك ، فلن تجد زائر الفجر ولن تذهب وراء الشمس ، ولن تسمع من يقول : الله فوق وانا هنا افعل ما اشاء ..

انها كرامة الانسان التى عادت اليه بعد طول غيابه ، انها حرية الانسان التى وجدها بعد ضياع ، وفوق ذلك عبور العاشر من رمضان وهو عبور لم ينته بعد ، بل اننا نريده عبورا الى مزيد من الفضائل ، ومزيد من التحرير ومزيد من الانجازات ، نريده عبورا الى تحقيق السلام القائم على العدل .. وعبورا الى المسجد الاقصى تطهيرا وتحريرا .. ليرتفع من فوقه كلمة الله . نريده عبورا الى تحقيق شريعة الله .. فى ظل السادات .. وفى دولة العلم والايمان .

عبد الرحمن النجار

مدير عام المساجد